

بنية الحجاج في معلقة الحارث بن حلزة

مقاربة تحليلية في ضوء البلاغة الجديدة

عبد الله بن سليمان بن محمد السعيد

الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

(قدم للنشر في ٢٠ / ٢ / ١٤٤١هـ، وقبل للنشر في ٢٨ / ٥ / ١٤٤١هـ)

ملخص البحث: يحاول هذا البحث أن يقدم دراسة تحليلية تتناول بنية الحجاج في معلقة الحارث بن حلزة، وقد ركزت الدراسة على محورين أساسيين، وهما:
أولاً- محور نظري، يقدم نبذة تتناول معطيات البلاغة الجديدة في قراءة النصوص، وبخاصة ما قدمه رواد مدرسة البلاغة الجديدة بيرلمان وتيتيكا.
ثانياً- محور إجرائي، يحاول فحص هذه المعلقة بغية الكشف عن بنية الحجاج وتقنياته التي استعملها الحارث في هذا المقام ومدى قدرته على استمالة الرأي المقابل، وتحقيق التأثير المراد.
الكلمات المفتاحية: الحارث بن حلزة، الحجاج، البلاغة الجديدة، المعلقات، الشعر الجاهلي.

Argumentation Structure in the Poem (Muallaqah) by Alharith Ibn Hillizah Analytical Approaches in Light of the New Rhetoric

Abdullah Bin Suleiman Bin Mohammed Al-Saeed

Associate Professor of Ancient Literature, Faculty of Arts, King Saud University, Saudi Arabia

(Received:20/2/1441H, Accepted for publication 28/5/1441H)

Abstract: This paper attempts to present an analytical study for the argumentation structure in the poem by Alharith Ibn Hillizah. The study focuses on two main aspects, namely:

-First, a theoretical aspect which offers an overview on the new rhetoric in terms of reading texts, especially the works by the field figures, namely Perelman and Tyteca.

-Second, an applied aspect which examines this poem with the aim of investigating the structure and style of argumentation employed by Alharith in order to manipulate the other party's view and reach the desired influence on them.

Keywords: Alharith Ibn Hillizah; Argumentation; New Rhetoric; Muallaqah; Pre-Islamic Poetry.

أولاً: الحجاج في ضوء البلاغة الجديدة: المصطلح وآفاق

التنظير

يمكننا القول إن معطيات النقد الحجاجي بدأت مع أولئك النقاد الذي اعتمدوا على الفلسفة في بنائهم الثقافي والنقدي، بدءاً من أرسطو الذي عني بالحجاج، وجعله قاسماً مشتركاً بين الخطابة والجدل (صولة، عبد الله، ١٩٩٨، ٤٩ وما بعدها).

وقد تسرّبت هذه المعطيات إلى التراث العربي في علم الكلام والمنطق، وفي المناظرات التي كانت تدور حول العقائد أو حول صحة الاختيارات الشرعية واللغوية بين المدراس الشرعية واللغوية المختلفة، كما ظهرت في النقد الأدبي، فتناول النقاد الأوائل الحجاج والإقناع والإلزام، ومن ذلك أن ابن قتيبة جعل الشعرَ الحجّةَ القاطعة عند الخصام (ابن قتيبة الدينوري، ٢٠٠٥م، ٢/٢٠٠)، وأنّ حازماً القرطاجني ناقش اختصاص الإقناع بالخطابة، والتخييل بالشعر، وتسويغ دخول الإقناع بالشعر، ودخول التخييل في الخطابة (القرطاجني، ١٩٨١، ٦٢-٧١، ٣٦١-٣٦٣)، وتحديث عبد القاهر الجرجاني عن دور بعض التراكمات اللغوية في التأثير على الخصم وإلزامه الحجّة (الجرجاني، عبد القاهر، ١٩٨٩، ١١٩-١٢١).

والحجاج كما تعرضه المعاجم لون من ألوان التدافع الكلامي القائم على البرهنة والاستدلال، ففي لسان العرب "حاججته أحاجه حججاً ومحاجة حتى حججته، أي غلبته بالحجج التي أدليت بها...، والحجة البرهان، وقيل: الحجّة ما دُوِّفِعَ به الخصم، وقال الأزهري: الحجّة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجلٌ محجّاج، أي: جدل، والتحاجُّ التخاصم" (ابن منظور، حجج).

ويبدو هذا المفهوم متسقاً مع الرؤية التي طرحها شارل بيرلمان وتيتيكا في كتابها (مصنف في الحجاج- البلاغة الجديدة)، فقد جدّد بيرلمان وتيتيكا آراء أرسطو في البلاغة التي تحصر البلاغة في الإقناع من خلال رؤيتها الخاصة، رغبة في إعادتها إلى طابعها الفلسفي الحقيقي (المودن، حسن، ٢٠١٦، ١٧)، فعرضاً نموذجاً بلاغياً يتعارض مع بلاغة الصور والمحسنات البديعية، مهمته "استعراض الأطروحات المتناقضة والمتعارضة ذهنياً، واستجلاء منطلقاتها المنطقية

والاستدلالية لمعرفة طابعها الإقناعي، أي اختيار الحجج المقنعة والمناسبة في موقف معين" (حمداوي، جميل، ٢٠١٤، ٣٠)، فالحجاج - كما يراه هذان المؤلفان - "جملة من الأساليب تضطلع بوظيفة هي حمل المتلقي على الاقتناع بما تعرضه أو الزيادة في حجم الاقتناع" (الدريدي، سامية، ٢٠١١، ٢١).^(١)

وفي الحق أن الحجاج جزء لا يتجزأ من مكونات الخطاب وآلياته، إذ يرتبط بالتواصل بين عناصر الخطاب المختلفة، ويتماس مع نقاط الالتقاء بين المرسل والمرسل إليه، فكل خطاب هو علاقة قائمة على التفاعل الدائب القائم على التأثير وعلى البرهنة والإقناع.

والحجاج بهذا المفهوم يبدو متسعاً يشمل الخطاب الأدبي والاجتماعي والسياسي، ولا ينصرف عن الخطاب الشعري القائم على التخييل وعلى الذاتية؛ لأن هذا الخطاب يتحقق فيه شروط التواصل والتفاعل المستمر بين المرسل والمرسل إليه.

على أن تطبيق هذه المفهومات على الشعر يبدو متأخراً عن الشر، فقد كان النقاد العرب يميزون الخطابة بالإقناع والتخييل بالشعر، مع إيمانهم بإمكانية التداخل بين هاتين الميزتين، فتتجاز الخطابة إلى التخييل، ويتوسل الشعر بالإقناع؛ لأن الغرض في الصناعتين - كما يرى حازم القرطاجني - "إعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النفوس بمحل القبول لتتأثر بمقتضاه" (القرطاجني، حازم، ١٩٨١، ٣٦١)، ثم بدأ الاهتمام بتطبيق هذه المفهومات على الشعر في العصر الحديث بعد انتشار نظرية الحجاج، ولعل من أقدم هذه الدراسات دراسة نشرتها سامية الدريدي عنوانها الحجاج في هاشميات الكميت (الدريدي، سامية، ١٩٩٦)، ثم عرضت للحجاج في الشعر تنظيراً وتطبيقاً في كتابها الحجاج في الشعر العربي بنيتة وأساليبه، وفيه ظهر تطوّر أدواتها النقدية (الدريدي، سامية، ٢٠٠٨)، ثم أعقبته بكتابتها دراسات في الحجاج قراءة لنصوص مختارة من الأدب القديم وطبقت فيه منهجها السابق (الدريدي، سامية، ٢٠٠٩)، ثم درس صالح التويجري أنساق الحجج في كافوريات المتنبي (التويجري، صالح، ١٤٣٨هـ).

(١) استخرج عبد الله صولة من كتابها السابق منطلقات الحجاج وبنيتة وصنفها تصنيفاً واضحاً (صولة، عبد الله، ١٩٩٨، ٣٢٤-٣٤٨).

فقد انطلق أصحاب هذه المدرسة من أرضية خطابية "تتوفر على قواعد فلسفية عميقة، صيغت ووضعت منذ أقدم العصور لنجاح عملية الخطابة وحصول التأثير والإقناع" (مدقن، هاجر، ٢٠١٣م، ٥١)، وهدف دراسة الحجاج عند بيرلمان هو "دراسة تقنيات الخطاب التي تسمح بإثارة تأييد الأشخاص للفروض التي تقدم لهم، أو تعزيز هذا التأييد" (فضل، صلاح، ١٩٩٢، ٦٧). مع الإيمان بأن مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية، وأن تقدمه لا يفتر بالضرورة إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة، كما أن نتائجه ليست ملزمة (مدقن، هاجر، ٢٠١٣، ٥٠)، وبالتالي فقد "أحدث بيرلمان انقلاباً مفهوماً حقيقياً، ومنح الوجود للاستدلالات غير المنطقية، وأحدث توسعاً نوعياً في تصوراتنا للغة والعقل" (المودن، حسن، ٢٠١٦، ١٧).

ولعل من أبرز إنجازات هذه المدرسة أنها استطاعت تصنيف الأشكال الحجاجية بشكل غير مسبوق، فقد صنف بيرلمان وتيتيكا الأشكال الحجاجية التي يمكن أن نعدها مواضع أو معاني حجاجية إلى أشكال حجاجية اتصالية وأخرى انفصالية، فالاتصالية هي التقنيات التي تقرب بين العناصر المتباينة، وتتضمن الحجج شبه المنطقية والحجج المؤسسة على بنية الواقع، والحجج المؤسسة لبنية الواقع، والحجج التي تستدعي القيم، والحجج التي تستدعي المشترك، وأما الانفصالية فهي التقنيات التي تحدث القطيعة أو تفسد اللحمة في العناصر المتضامنة في إطار فكري واحد، أو تلك التي كانت تشكل كلاً لا يتجزأ (صولة، عبد الله، ١٩٩٨، ٣٢٤).^(١)

وتستند الحجج شبه المنطقية إلى مبدأ منطقي خالص، ولكنها تحمل في ذاتها ما قد يثير الاعتراض، فيمكن ردها حين تخضع للتحليل، بدعوى أنها ليست منطقية (صولة، عبد الله، ٢٠١١، ٤٢، والدريدي، سامية، ٢٠١١، ١٩١)، وهذا شأن الحجاج، فهو -كما يؤكد بيرلمان- يتعارض مع البرهنة، إذ "ينبغي لنا أن نبلغ المحتمل بواسطة الحجاج، وأن نقبل بذلك

كما ظهرت بعض الدراسات التي تعتمد المدرسة اللغوية اللسانية متزامنة مع كتابي سامية الدريدي وتالية لها، فخصّ أبو بكر العزاوي الخطاب الشعري بفصل درس فيه قصيدة للشاعر أحمد مطر (العزاوي، أبو بكر، ٢٠٠٧)، ودرست شامة مكلي نصين لجرير والفرزدق في رسالتها للماجستير (مكلي، شامة، ٢٠٠٩)، ثم نشرتها (مكلي، شامة، ٢٠١٠)، وقد توالى الدراسات الحجاجية بعد ذلك، ومنها دراسة يوسف عليات لدالية الراعي النميري، وهيثم سرحان لشعر بشار بن برد (عليات، يوسف، ٢٠١٣، وسرحان، هيثم، ١٤٣٥هـ)، وقد تميز بعض الدراسات بين الاتجاهين مع ميل واضح للاتجاه اللغوي كما في دراسة عبد الرحمن أحمد كرم الدين للامية العرب، وذيب العتيبي لكتابات محمد عبدالله دراز (كرم الدين، عبد الرحمن، ١٤٣٤هـ، والعتيبي، ذيب، ٢٠١٦).

وفي الحق أن حجاجية الشعر تعدّ أمراً نسبياً، فبعض النصوص تظهر أكثر قابلية للحججاج من بعضها الآخر، فبقدر وضوح إرادة التواصل والرغبة في التأثير على الآخرين تكون حجاجية هذا الخطاب أكثر وضوحاً ورسوخاً، ولا شك أن حجاجية النص الشعري تضيف له متعة عقلية إلى جانب متعته الجمالية والفنية.

ولا بد هنا من الإشارة إلى أن اتجاهات الباحثين تباينت في دراسة الحججاج، وأبرز هذه الاتجاهات مدرستان، الأولى منها المدرسة اللغوية وبدأت بإسكمبر وديكرو، وقد اعتمدت الجانب اللغوي أو اللساني، فهما يريان الحججاج كامن في اللغة ذاتها؛ ولذا فقد حصرا دراسته في نطاق دراسة اللغة، لا في البحث عما هو واقع خارجها من بنى شبه منطقية أو شكلية أو رياضية (صولة، عبد الله، ٢٠٠٧، ٣٣).

ثم جاءت مدرسة الحججاج وتحليل الخطاب على يد (روث أموسي ودومينيك مانغينو وباتريك شارودو...)، "وهو نموذج ينطلق من ضرورة تدشين انفتاح متبادل بين هذين المجالين المعرفيين: الحججاج وتحليل الخطاب، ويطرح الحججاج داخل الخطاب بديلاً للحججاج داخل اللسان" (المودن، حسن، ٢٠١٦، ١١).

وأما المدرسة الثانية فمدرسة بيرلمان وتيتيكا، وقد نشأت في ظل الفلسفة، متعارضة مع ديكرات الذي يعتمد البرهنة،

(١) سيكون جُلّ اعتيادنا في شأن هذه المدرسة على ما استخرجه عبدالله صولة في هذا المرجع، وفي كتبه الأخرى، وعلى بعض الإضافات المنهجية والتطبيقية التي جاءت بها سامية الدريدي بعد ذلك في كتابها الحججاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه (الدريدي، سامية، ١٩٠ وما بعدها).

للعلاقات الرابطة بين عناصر الواقع وأشياؤه (الدريدي، سامية، ٢٠١١، ٢١٤).

ويأتي على رأس هذا النوع حجج التتابع السببي، فيبنى الحجج على تتابع ثابت للأحداث مع الإحالة على رابط سببي يصل بينها (المرجع السابق، ٢١٥)، ويتصل به الحجة البرغماتية التي "يحصل بها تقويم عمل ما أو حدث ما باعتبار نتائجه الإيجابية أو السلبية" (صولة، عبد الله، ١٩٩٨، ٣٣٣). وثاني هذه الحجج حجة الغائية، وهي قائمة على أن قيمة الشيء تتصل بالغاية التي وجد من أجلها (الدريدي، سامية، ٢٠١١، ٢٢١)، ويتصل بها حجج التبذير والاتجاه والتجاوز، فأما التبذير فيقوم على وجوب الاستمرار في أمر ما حفاظاً على الجهد والوقت (المرجع السابق، الصفحة نفسها)، وأما حجة الاتجاه والتجاوز فتقوم على رفض السير في أمر ما في الأولى وتأييده في الثانية بالنظر في العاقبة ومآلات الأمور (المرجع السابق، ٢٢٥).

ومن الحجج المؤسسة على بنية الواقع حجج الوجود والتعايش، وتقوم على التصاهر بين العناصر المختلفة، وهو القانون الدائرة عليه قوة هذه الحجج التواجدية ونجاحتها، إذ إن حلول العناصر بعضها في بعض، يصنع ضرباً من التعلق ونوعاً من التوحد يقوى به الحجج، ويشد من خلاله الاستدلال" (الشبعان، علي، ٢٠١٠، ٢٩٠).

وتبرز في حججتي، "حجة الماهية أو الذات، وتتمثل في تفسير حدث أو موقف ما أو التنبؤ به انطلاقاً من الذات التي يعبر عنها أو يجليها أو يوضحها" (الدريدي، سامية، ٢٠١١، ٢٢٨)، ويتصل بها مبدأ ثبات الشخصية، فتفسر ما يقوم به شخص معين بربطها بصفاته الثابتة في شخصيته (المرجع السابق، ٢٢٩)، والحجة الثانية هي حجة السلطة، وتتمثل في الاحتجاج على صحة أطروحة ما اعتماداً على إجماع أو رأي عام أو قانون أو كتاب أو اتجاه معترف به من الجمهور، ولعل أهمها الاحتجاج بأعمال الأفراد وأحكامهم (صولة، عبد الله، ١٩٩٨، ٣٣-٣٥).

وأما الحجج المؤسسة لبنية الواقع فأظهر ما يميزها "كونها حججاً لا تستند إلى الواقع، بل تصنع واقعا جديداً، وذلك من خلال توليد علاقات حادثة بين الأشياء والعناصر والمفاهيم" (الشبعان، علي، ٢٠١٠، ٣٠٧).

بما أن الحقيقة مستحيلة التحديد في بعض المجالات" (المودن، حسن، ٢٠١٦، ١٥).

وأبرز هذه الحجج وأقربها إلى المنطق التناقض وعدم الاتفاق، ويتمثل في قضيتين في نطاق مشكلتين تنفي إحداها الأخرى، أو ملفوظين متعارضين بعد وضعها على محك الواقع أو الظروف أو المقام (صولة، عبد الله، ١٩٩٨، ٣٢٥). ويأتي التماثل والحد ثاني هذه الحجج، فيقدم المحتج تعريفات تدعي قيامها بالضبط والتحديد، ولكنها تفتقر إلى الدقة والوضوح، كأن يقال الإنسان هو الإنسان ونحو ذلك (الدريدي، سامية، ٢٠١١، ٢٠٠-٢٠١).

ومن الحجج شبه المنطقية الحجج القائمة على العلاقة التبادلية، وتتمثل في معالجة حالة معينة معالجة حالة أخرى بدعوى أنها متماثلتان ولو بطريقة غير مباشرة (صولة، عبد الله، ٢٠١١، ٤٥)، فهي قائمة على مبدأ العدالة في التعامل مع العناصر المنتمية إلى صنف واحد بكيفية واحدة (الدريدي، سامية، ٢٠١١، ٢٠١).

وأما الحجج شبه المنطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية فيأتي على رأسها إدماج الجزء في الكل أو الاشتمال، فما ينطبق على الكل ينطبق على الجزء (صولة، عبد الله، ١٩٩٨، ٣٢٩)، وثانيها تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له، ويقوم على "أن حكماً ما ينطبق على جزء من أجزائه ينطبق تبعاً لذلك على الكل" (الدريدي، سامية، ٢٠١١، ٢٠٧)، وغايته البرهنة على وجود المجموع، ومن ثم البرهنة على الحضور (صولة، عبد الله، ٢٠١١، ٤٥).

ومن الحجج التي تعتمد العلاقات الرياضية حجج التعديدية، وهي "خاصية شكلية، تتصف بها ضروب من العلاقات التي تتيح لنا أن نمّر من إثبات أن العلاقة الموجودة بين (أ) و (ب) من ناحية، و(ب) و(ج) من ناحية أخرى هي علاقة واحدة إلى إثبات أن العلاقة نفسها موجودة بين (أ) و(ج)" (صولة، عبد الله، ١٩٩٨، ٣٢٩).

وأما الحجج المؤسسة على بنية الواقع فتستعمل "للربط بين أحكام مسلم بها وأحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها وتثبيتها" (المرجع السابق، ١٩٩٨، ٣٣١)، فهي لا تعتمد على المنطق، وإنما تتأسس على التجربة، فالحجاج ما عاد افتراضاً وتضميناً، بل أصبح تفسيراً للأحداث والوقائع، وتوضيحاً

بدورها إطارا عاما يحرك المدركات الشعرية للنسق الشعري في هاته المعلقة.

والمعلقة تقوم على وضعية حجاجية خلافية، فثمة أطروحة مدحوضة تتمثل في تحميل جنائية هؤلاء القتلى، وأطروحة مقابلة يتبناها الشاعر تتجسد في خلو عهد الفريقين من تحمل هذه الجناية تحديداً، والحكم أو المتلقي الأساسي الذي تتوجه إليه المحاجة وتحتكم بحكمه هو عمرو بن هند، وحكمه نافذ في الفريقين، ومسؤولية الحارث أن يحسن إقناع عمرو بن هند، وأن يستميله إلى جانبه^(٢).

وتبعاً لذلك فقد كان على الحارث أن يتمثل مقتضيات الخطاب الحجاجي وعناصره، معتمداً على البرهنة والاستدلال في عرض حججه، ساعياً إلى تحيّر ما يناسب المقام التواصلي، بغية استمالة عمرو بن هند إلى وجهته، مع زعمه الحياد واتباع العدل، وبعبارة أخرى فإن الحارث يسعى إلى إثبات سلامة موقف بني يشكر، وعدم إخلالهم بالعهد، وعدم تحملهم مسؤولية قتلى بني تغلب، وهو موقف حجاجي مضاد لموقف تغلب، يستدعي استمالة عمرو بن هند إلى وجهته الحجاجية.

ومن خلال التأمل في معلقة الحارث فإنه يمكن تقسيمها إلى ثماني لوحات حجاجية، وهي على النحو التالي وفقاً لرواية

وهما نوعان تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة، والاستدلال بواسطة التمثيل، فمن أبرز مظاهر النوع الأول حجة المثال، وتعتمد على مثال مفرد معزول لتعميم حكم ما أو فكرة معينة، وحجة النموذج وهو المثال الذي يظهر بمظهر يستوجب تقليده (الدريدي، سامية، ٢٠١١، ٢٤٥).

وأما الاستدلال بالتمثيل فيعني تشكيل بنية واقعية تسمح بإيجاد حقيقة أو إثباتها عن طريق تشابه في العلاقات (المرجع السابق، ٢٥٢).

وآخر الحجج التي تقوم على الاتصال **الحجج التي تستدعي القيم أو المشترك**، فهي إما أن تقوم على رفض فكرة معينة أو الدعوة إلى موقف ما أو سلوك معين استناداً إلى قيمة أو قيم محددة (المرجع السابق، ٢٧٠)، وإما أن تقوم على "الاستناد إلى ما يشكل موضوع اتفاق بين المتلقين أو يمثل جملة من المعارف المشتركة الشائعة بينهم" (المرجع السابق، ٢٨٧).

وأما الحجج القائمة على مبدأ الفصل المفهومي فتقوم على مبدأ الفصل بين الأفضية والتصورات التي كان بينها وصل، قبل أن يجري عليها التحويل، وذلك من خلال الزوج الفلسفي (الظاهر/ الحقيقة)، فهو "بناء ذهني قائم على المقارنة بين الظاهري والحقيقي من الأشياء، وعلى محاكمة الظاهر في ضوء الحقيقة والواقع" (صولة، عبد الله، ١٩٩٨، ٣٤٤).

ثانياً: الإجراء

بالنظر إلى المدرستين السابقتين فإن المفهومات التي طرحها بيرلمان تبدو أكثر نجاعة في دراسة معلقة الحارث بن حلزة؛ لأنها اختصت بموقف حكم واقتضاء، ومرافعة واحتكام، اتجه فيه عمرو بن هند إلى إفساح المجال لخطابة الإقناع والتسويغ^(٣)، وموقف الحارث كان قائماً على حمل عمرو بن هند على الاقتناع بحججه، واستعمال ما يستطيعه من مواضع وتقنيات حجاجية مختلفة في الدفاع عن قبيلته موظفاً الأنساق العقلية والمنطقية والرياضية والشكلية، ومفعلاً السياقات الثقافية والسياسية والاجتماعية التي تمثل

(٢) ذكر ابن الأنباري والتبريزي في مقدمة القصيدة أن عمرو بن هند حين تولى جمع بكر وتغلب، وأصلح بينها وأخذ من الحين رهنا، من كل حي مئة غلام، فكان يغزو بهم، فلما كان في بعض مسيره، أصابتهم سموم، فهلك عامة التعلبيين، وسلم البكريون، فطلبت تغلب ديات أبنائها، وأبت بكر، واحتكموا إلى عمرو بن هند، وفي مقدمة قصيدة عمرو بن كلثوم ذكر أن أناساً من تغلب استسقوا بني بكر فطردوهم للحقد الذي بينهم، فرجعوا فهلك منهم سبعون عطشا، فاجتمعت تغلب لحرب بكر، فلما التقوا كرهوا الحرب، ودعا بعضهم بعضاً إلى الصلح وحكموا عمرو بن هند، فأبى أن يحكم بينهم حتى تسلم بكر سبعين رجلاً، فإن كان الحق لبني تغلب سلمهم إليهم، وإلا ردّهم إلى بكر (ابن الأنباري، ٢٠١٠، ٤٣٤، والخطيب التبريزي، ١٩٨٠، ٣١٨-٣٢٠، ٣٦٨-٣٧٠).

(١) حول البعد القضائي في الحجج انظر: (أعراب، حبيب، ٢٠٠١،

بدأ الشاعر قصيدته بهذه الأبيات التي يشكو فيها من
البين ومفارقة أسماء، ولكن التأمل في هذه الأبيات يفضي إلى
التماس صورة مضمرة من صور الحجاج الذي بنيت عليه
القصيدة، فالحارث حين أنشأ هذه الأبيات كان محملاً بالمعاني
العامة التي بنيت عليها القصيدة، ومن البديهي أن تتسرب هذه
المعاني إلى هذه اللوحة الغزلية، وأن تصبغها بألوانها المختلفة،
إذ إن كثير من المعاني الشعرية تتسرب من خلال اللاوعي
لتمثل حضورها اللافت في المقام التواصل.

ومن الواضح أن الشاعر افتقد شيئاً يتمثل هنا في الحبيبة،
وأنة ظل يراعيه مع بعد ما بينها، وظل يرحل ويترقب لقاءه،
ثم هو يراه نوراً يلوح كما يلوح الضياء الذي ينظر إليه
ويتأمله من بعيد.

وهذه المشاهد عندما تتجمع بهذه الصورة فإنها تمثل معاني
خفية في نفس الشاعر، دالة على شيء يبحث عنه ويتمناه،
شيء يمثل نوراً وخلصاً ينظر إليه ويتأمله من بعيد، ولا
يصل إليه في حالته الراهنة.

لقد كان الحارث قادراً على أن يبكي الطفل وأن يصف
دموعه وبكائه كما وصفه امرؤ القيس الذي يحتذي مثاله
الشعراء (الكندي، امرؤ القيس، د.ت، ٩)، أو أن تظهر هذه
الرحلة صورة من صور الغياب كما ظهرت عند طرفه بن
العبد (ابن العبد، طرفه، ٢٣-٢٤)، أو صورة جمالية
مطربة كما هي عند زهير (ابن أبي سلمى، زهير، ١٩٨٢،
١٦-٢٢).^(١)

وإذن فما الذي جعله يعتمد هذه المعاني دون غيرها؟
من الواضح أن اللوحة الغزلية هنا جاءت محملة بالمعاني
التي تتعمق مشاعر الحارث، فثمة مزج بين موقفه من الحبيبة
وموقفه الحجاجي من عمرو بن هند، وبين أمنيته بلقاء الحبيبة
وأمنيته بانفراج هذه الأزمة، فأنت ترى صورة العلاقة المتوترة
بعمر بن هند بعد عهد من الصفاء والوفاء التي كررها

ابن الأنباري في شرح القصائد السبع الطوال (ابن الأنباري،
٢٠١٠، ٤٣٥-٤٩٧) ^(٢):

١- لوحة البين ومفارقات الفقد.

٢- لوحة الرحلة

٣- لوحة العرض المبدئي ومحددات القضية

٤- لوحة الذات الواثقة والصورة العامة للقبيلة.

٥- مقدمة الحجاج والمرافعة.

٦- لوحة الحجاج التأريخي.

٧- لوحة الحجاج العقلي.

٨- لوحة الحجاج التواصل والعاطفي.

قد يظهر التباعد بين هذه المقاطع عند قراءة عنواناتها
لأول وهلة، ولكن القراءة المتأنية تحاول أن تكشف انسجام
علاقتها أو عدمها، وأن تنفي عنها تهمة التفكك البنائي أو
تثبتها من خلال البحث عن القضية المحورية التي تتعالق
حولها، ومحاولة الكشف عن التقنيات الحجاجية التي
استعملها الشاعر، لتؤسس أنساقاً متعاودة بعضها على بعض
في علاقاتها وفي متابعتها البنائي.

أولاً- لوحة البين ومفارقات الفقد:

يستهل الشاعر هذه القصيدة بهذه الأبيات التي يشكو

فيها من البين والبعء، فيقول:

أَدْتَنَّا بَيْنَهَا أَسْمَاءُ
أَدْتَنَّا بَيْنَهَا ثُمَّ وَلَّتْ
بَعْدَ عَهْدٍ لَنَا بِبُرْقَةٍ شَمًا
فَالْمَحْيَاةُ، فَالصَّفَاةُ، فَأَعْنَا
فِرْيَاضَ الْقَطَا، فَأَوْدِيَةَ
لَا أَرَى مِنْ عَهْدَتُ فِيهَا
وَبِعَيْنِكَ أَوْقَدْتَ هِنْدُ النَّا
أَوْقَدْتَهَا بَيْنَ الْعَقِيقِ ^(٣)
فَتَنَوَّرَتْ نَارَهَا مِنْ بَعِيدٍ

رُبَّ نَاوٍ يُمَلِّ مِنْهُ الثَّوَاءُ ^(٤)
لَيْتَ شِعْرِي مَتَى يَكُونُ
ءَ فَأَذْنِي دِيَارَهَا الْخَلْصَاءُ
قُ فَتَاقُ، فَعَاذِبُ، فَالْوَفَاءُ
بُي، فَالشَّعْبَانِ، فَالْأَبْلَاءُ
يَوْمَ دَهْلًا وَمَا يَرِدُ الْبِكَاءُ
رَ أَحْيَا تُلَوِي بِهَا الْعَلْيَاءُ ^(٥)
مَنْ بَعُوْدٍ كَمَا يَلُوْحُ
بِحَزَارٍ ^(٦) هِيَهَاتَ مِنْكَ

(٤) العقيق: مكان بالحجاز، وشخصان: أكمة لها شعبتان.

(٥) خزار: جبل بين العقيق وشخصين، والصلاء: النار، والاحتراق بها
وأن يناله حرها (الروزي، ١٩٩٣، ١٤٧).

(٦) في الموازنة بين جانبي الغياب عند طرفه والجانب الجمالي عند

زهير انظر: (السعيد، عبداً لله، ١٤٣٨، ٣٠٥-٣٠٩، ٣٤٥-

٣٥٢).

(١) اعتمدت رواية ابن الأنباري؛ لأنها أقدم ما وقفت عليه، ولا تساقطها
المنهجي، كما اعتمدت شرحه للأبيات، فإن نقلت عن شرح غيره أثبتت
ذلك في الحاشية.

(٢) أدتتنا: أعلمتنا، والبين: البعد، والثاوي: المقيم.

(٣) تلوي بها: ترفعها، والعلياء: المكان المرتفع، وإنما أراد الحجاز وما
يليه من بلاد قيس.

آنست نبأً وأفرزها القناص عصراً وقد دنا الإماء^(٢)
فترى خلفها من الرجع مع منبأ كأنه إهباء^(٣)
وطرافاً من خلفهن طراف^(٤) ساقطاً ألوت بها
أتلهى بها الهواجر إذ كل من همم بليّة عمياء^(٥)

هذه اللوحة تمثل تممة للوحة السابقة، فإذا كان الهدف الذي كان يرجوه الشاعر بعيداً والصلاء الذي يرجوه من النار/النور/الهدف مما يعسر الوصول إليه، فإن الشاعر لن يقف عند حدود التمني، وهنا يأتي دور الرحلة، فيركب ظهر السعي للوصول إلى هدفه، فهو لا يركبها لمجرد التسلي وقطع الفلوات، ولكنه يستعين بها في الموقف الصعب وفي البحث عن النجاء، أو كما يعبر الزوزني: "أستعين على إمضاء همي وقضاء أمري إذا أسرع المقيم في السير لعظم الخطب وفضاعة الخوف" (الزوزني، ١٩٩٣، ١٤٧).

وهذه المطية التي يركبها عند الاضطرار وشدة الخوف في موقفه من عمرو بن هند وموقف قومه منهم إنما هي مهارته اللغوية وقدرته على إقناع عمرو بن هند بسلامة موقفه وموقف قومه، وبعبارة أخرى قدرته على إتقان مهارة الحجاج التي يرجو أن تصل به إلى هدفه وغايته التي رسمها في المقطع الأول.

ويلبس الحارث ناقتة تلك صفات مناسبة تتفق مع قناعته بجودة حجته وسلامه موقفه، فهي ناقة زفوف، كأنها النعام، سريعة الخطى، يستعان بها على الهم إذا خف بالثويّ النجاء، ويلفت النظر أن الشاعر يصرح هنا بمدى معاناته والحالة التي يمر بها، وهي حالة تسرع بالمقيم طلباً للنجاة، حيث

(٢) الزفوف: الناقة المرسعة الخفيفة، شبهت بعدو النعام، والمقلّة: النعام، والرئال: فراخ النعام، والدوية: المنسوبة إلى الأرض الواسعة البعيدة الأطراف، والسقفاء: النعام في رجلها انحنا.

(٣) آنست: أحشت، والنبأ: الصوت لا يعلم مصدره، والقناص: الصياد.

(٤) الرجع والوقع: حركة قوائمها، والمنين: الغبار الدقيق، والإهباء: ما يرى كأنه غبار يتناثر في الشمس.

(٥) الطراف: مطارقة نعال الإبل.

(٦) الهواجر: منتصف النهار، والبليّة: ناقة الرجل تعقل عند رأسه إذا مات، وتترك حتى تموت.

الحارث مراراً في المعلقة في بين أساء وبعدها وتوتر علاقتهما بعد عهد من الصفاء والوفاء.

ويلفت النظر أن الحارث بعد أن ذكر افتقاد الحبيبة استأنف الحديث عن النار التي أوقدتها أساء، وحاجته إلى نورها ودفئها، والمألوف أن يتحدث الشعراء عن بقايا النار بوصفها جزءاً من الذكريات وبقيةً مما يذكر بالحبيبة وعهدها أو بالشباب وأيامه، ولا شك أن ذلك يحتاج إلى تفسير وبيان. ولعل أفضل ما يمكن أن يساعدنا على تفسير هذه الأبيات أن ننظر في الموقف الذي قيلت فيه المعلقة، ومن جديد سنجد أن هاتين الصفتين اللتين كان يبحث عنهما الحارث في نار الحبيبة هما الصفتان اللتان كان يبحث عنهما في موقفه من عمرو بن هند، فالنار محملة بمدلولات الظلام والنور، والاحتراق والدفع، والصلاء والاصطلاء، وهذه الصفات بعينها حاضرة في موقفه من عمرو بن هند، فمجلس الحكم الذي دعيت له القبيلتان يتصف بهذه الصفات كلها، فهو نور بما يبثه من أمل بإنصاف الشاعر وقومه ودفع بما يرجوه من الأمان، وهو نار بما يخافه الشاعر عن اصطلاء هؤلاء الفتية السبعين من قومه بنار هذا الحكم، وهذا بعينه هو شأن الموقف الذي لا بد أن ينجلي عن أحد هذين الحكمين، إما بسلامة هؤلاء السبعين الذي استلمهم عمرو ضماناً عنده، وهو النور والضياء والدفع الذي يرجوه، وإما بتحميل بني يشكر هذه الجناية وقتل هؤلاء السبعين، وهو ما تمثله النار باحتراقها وصلاتها.

ثانياً- لوحة الرحلة:

على نحو ما ظهر امتزاج صورة الفقد بصورة الأمل في الحديث عن البين ظهر كذلك في الحديث عن الرحلة، حيث انتقل الحارث إلى الحديث عن الرحلة انتقالاً نسقياً، فجعل صورة الرحلة صورة مكملّة للوحة البين والبعده، يقول:

غَيْرَ أَنِّي قَدْ أَسْتَعِينُ عَلَى الهمِّ إِذَا خَفَّ بِالثَّوِيِّ النَّجَاءُ^(١)
يَزْفُوفٍ كَأَنَّهَا هِفْلَةٌ أُمَّ رِثَالٍ دَوِيَّةٌ سَقْفَاءُ^(٢)

(١) الثوي: المقيم، والنجاء: الانطلاق والإسراع في السير (انظر:

الزوزني، ١٩٩٣، ١٤٧).

ومع أن الموقف كان يتجه إلى عرض الموضوع أو القضية ابتداء فإنه لم يخل من استعمال بعض المبادئ الحجاجية، فقد افتتح حديثه عن موضع المخاصمة، وتحميل بني تغلب بني بكر مسؤولية قتلاهم، مبيِّناً أن تحميل بني تغلب بني بكر مسؤولية قتلاهم يتناقض مع العدل، فالخارث هنا يدفع هذه الأطروحة مؤكداً أنها لا تتفق مع العدل؛ لأنها تخلط البريء بالمدنّب من جهة، ولأنها لا تتفق مع الحجج السليمة القائمة على الوضوح وعدم الخلط، وعلى سلامة الحجّة من جهة أخرى، ولذا حرص على وصف محاولتهم تعمية ذلك وستره من خلال رفع الصوت، وتخالط الأصوات، مشيراً إلى ضعف حجّتهم، ومحاولتهم تشتيت السامعين برفع أصواتهم وتخالطها.

ومبدأ التناقض وعدم الاتفاق الذي استعمله الخارث هنا من أهم مبادئ الحجاج، ويقوم على "إمالة اللثام عن التعارض في أطروحات الخصم" (صولة، عبد الله، ٢٠٠١، ٣٢٦)، فيدفع أطروحة ما مبيِّناً أنها لا تتفق مع أطروحة أخرى.

كما أن هذا الطرح يتصل من جانب آخر بما يسمّى بالفصل المفهومي، إذ يحاول الشاعر هنا أن يحمل المتلقي على تمثيل مظهرين اثنين للشيء الواحد والمقارنة بينهما للوصول إلى معرفة الحقيقة وتمييزها^(٥)، فثمة حالة ظاهرة قوامها اتهام بني يشكر بدماء قتلى التغلبيين، وهي مظهر تكتنّفه الجلبة وتعالي الأصوات في محاولة لتعطيل التأمل والتبصر للوصول إلى معرفة الحقيقة والوصول إليها، فهذا -وفق ما يطرحه الشاعر- ظاهر خداع يروم إدانة بني تغلب، وثمة باطن حقيقي يتبين بالتأمل وبالمقارنة واستبعاد خلط البريء بالمدنّب، ومن مؤشرات هذا الخلط الإشارة المعيارية الحاضرة في تعمد إحداث الجلبة بأصواتهم وأصوات دوابهم في محاولة لتمكين الزائف الخداع وتعمية الحقيقة وإخفائها.

رابعاً- لوحة الذات الواثقة والصورة العامة للقبيلة:

وتمضي القصيدة بعد ذلك في رسم صورة أساسية لبني بكر تجعلها عرضة للوشايات التي لا تضرها ولا تؤثر فيها، يقول:

(٥) حول الفصل المفهومي انظر: (صولة، عبد الله، ١٩٩٨، ٣٤٥).

يصبح الركوب/ المحاجة اضطراراً، والإسراع حاجة ملحة ينتقل إليها الشاعر، وهذه الحالة من الهم والخوف تستدعي التحرك لتضييق الفجوة دون نار هند/ النور/ الخلاص.

ولا يكتفي الشاعر بهذا التوافق بين حالته الراهنة/ موقفه التواصلية وبين ما يذكره في هذه الرحلة، بل يذكر أن هذه الناقاة/ الظليم/ المحاجة آنتت نبأً وأفرعها القناص، فثمة حالة ظاهرة تعني فزع النعام من القناص وإسراعها لذلك، وثمة صورة عميقة يستلها الشاعر من أعماق نفسه تمثل خوفه وفزعه مما يراد بقومه، وما يحيط بهم من مصائب ووشايات، ومحاولات لزعتهم عن مكاتتهم، وإضعاف قوتهم.

ثالثاً- لوحة العرض المبدئي ومحددات القضية:

ولمّا كان موضوع الحجاج الذي يتجه إليه الشاعر ملجأ، ولمّا كان يمثل ضرورة تواصلية فقد اتجه إليه الشاعر بشكل مباشر في سبيل عرض قضيته الحجاجية، وذلك قوله:

وَأَنَا عَنْ الْأَرَاقِمِ أَنْبَا ءَ وَحَطْبٌ نَعْنَى بِهِ وَنُسَاءٌ^(١)
 إِنَّ إِخْوَانَنَا الْأَرَاقِمَ يَغْلُو نَ عَلَيْنَا فِي قَيْلِهِمْ إِحْفَاءٌ^(٢)
 يَخْلُطُونَ الْبَرِيءَ مَنَا بِذِي الدَّنِّ وَلَا يَنْفَعُ الْخَلِيَّ الْخَلَاءُ^(٣)
 رَزَعْمُوا أَنْ كُلَّ مَنْ صَرَبَ الْعَيْبَ رَ مَوَالٍ لَنَا وَأَنَا الْوَلَاءُ^(٤)
 أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ بِلَيْلٍ فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ صَوَاضُ^(٥)
 مِنْ مَنَادٍ وَمِنْ مَجِيبٍ وَمِنْ تَصْدَ هَالٍ خَيْلٍ خِلَالَكِ ذَاكَ رَعَاءُ^(٦)

في هذا المقطع يبدأ الخارث بعرض موقفه الحجاجي المباشر، فيبدأ بعرض القضية، والباعث على الوقوف أمام عمرو بن هند، وأنه كان بسبب اتهام بني تغلب لهم، وتحميلهم ديات قتلاهم.

(١) الأرقام: أحياء من بني تغلب اجتمعوا هم وعجل وحنيفة وذهل بن شيبان من بني بكر على بني يشكر بن بكر.

(٢) الإحفاء: الاستقصاء والمبالغة.

(٣) العير: الود، وقيل: لقب لكليب بن وائل، وقيل الحار نفسه وقيل: جبل بالمدينة، ومعناه أنه م جلونا موالي لكل من ضرب وتدا في الصحراء، أو لكل من قتل كليباً أو أعان على قتله، أو لكل من ساق عيراً (حماراً) في الصحراء، أو لكل من ضرب إلى ذلك الجبل.

(٤) الرغاء: من أصوات الخيل والإبل.

التغليبين لن تضرهم، كما لم تضرهم وشاية الناس قبل بني تغلب.

وهذه الحجة ترجع إلى معاملة الأطراف المتأثرة معاملة واحدة، لكن هذا التماثل في حقيقته ليس كاملاً، إذ يكفي أن يشير المعارض الآخر شيئاً من الفروق بين هذه الأطراف محاولاً أن يضعف من أثر الحجة، وأن يجعلها أقل نجاعة وتأثيراً، وهو شأن الحجاج، فمسلّماته لا تعدو أن تكون احتمالية لا تمثل ضرورة منطقية كاملة، كما نتائجه ليست ملزمة (مدقن، هاجر، ٢٠١٣، ٥٠).

خامساً: مقدمة الحجاج والمرافعة:

يوجه الحارث حديثه للخصم محاولاً أن يثبت بطلان دعواه بقوله:

أَيُّهَا حُطَّةُ أَرْدْتُمْ فَأَدُّوا هَا إِلَيْنَا تَمَشِي بِهَا الْأَمْلَاءُ^(٨)
 إِنْ نَبَشْتُمْ مَا بَيْنَ مِلْحَةٍ فَالْصَّا قِبِ فِيهِ الْأَمْوَاتُ وَالْأَحْيَاءُ^(٩)
 أَوْ نَقَشْتُمْ فَالْتَقَشُّ نَجْشُمُهُ النَّاسُ وَفِيهِ الصَّلَاحُ وَالْإِبْرَاءُ^(١٠)
 أَوْ سَكَّتُمْ عَنَّا فَكُنَّا كَمَنْ أَعَدَّ حَمَصَ عَيْنًا فِي جَنْبِهَا أَقْدَاءُ^(١١)
 أَوْ مَنَعْتُمْ مَا تَسْأَلُونَ فَمَنْ حُدِّثْتُمُوهُ لَهُ عَلَيْنَا الْعَلَاءُ
 من الواضح هنا أن الحارث يقدم مقدمة تؤكد أحقيته وقومه بالبراءة، فهي تقوم على رسم صورة أولية تثبت ثقته بحقه وضعف حجة الخصم، فيترك لهم اختيار الخطّة التي يمكن أن يتحاكموا إليها، فيخبرهم بين استجلاء الأحداث السابقة وإقامة الشهود عليها، أو الاستقصاء في جميع ما جرى بين الفريقين، أو السكوت عما مضى مع ما في ذلك من هضم لحقوق بني بكر، أو منع ذلك والاعتماد على شريعة القوة التي تعطي الحق للقوي وتحترمه.

وهذه الأبيات تتضمن ما يسميه بعض النقاد بحجة الماهية والحجة النفعية، فأما حجة الماهية فتقوم على علاقة الذات بصفاتها (الدريدي، سامية، ٢١٦-٢٢١)، فالحارث هنا يستدل بالأحداث الماضية على رسم صورة معينة للصراع

(٨) الأملاء: الملاء من القوم كبارهم وخيارهم.

(٩) نبشتم: أثرتهم، وملحة: مكان، والصاقب: جبل، ومعناه: إن أثرتهم

ذلك ظهر فضلنا عليكم، وادعائكم علينا بالباطل.

(١٠) نقشتم: استقصيتم، تجشمه: تكلفه.

(١١) الأقداء: ما يسقط في العين، وهو مؤذ.

أَيُّهَا النَّاطِقُ الْمَرْقُشُ عَنَّا لَا تَحُلْنَا عَلَى عَرَائِكَ إِنَّا فَبَقِينَا عَلَى الشَّنَاءَةِ تَنَمِي
 قَبْلُ مَا قَدَّ وَشَى بِنَا الْأَعْدَاءُ^(١٢) قَبْلُ مَا قَدَّ وَشَى بِنَا الْأَعْدَاءُ^(١٣)
 سَنَا حَصُونَ وَعَزَّةٌ قَعْسَاءُ^(١٤) سَنَا حَصُونَ وَعَزَّةٌ قَعْسَاءُ^(١٥)
 مَسَ فِيهَا تَعَيِّطٌ وَإِبَاءُ^(١٦) مَسَ فِيهَا تَعَيِّطٌ وَإِبَاءُ^(١٧)
 عَن جَوْنًا يَنْجَابُ عَنْهُ الْعَمَاءُ^(١٨) عَن جَوْنًا يَنْجَابُ عَنْهُ الْعَمَاءُ^(١٩)
 نُؤُهُ لِلدَّهْرِ مُؤَيِّدٌ صَمَاءُ^(٢٠) نُؤُهُ لِلدَّهْرِ مُؤَيِّدٌ صَمَاءُ^(٢١)

الحارث هنا يمرر حجة أساسية تقوم على التنبؤ بالنتيجة والحدث من خلال الذات التي تعبر عنها وتجليها، فيحاول أن يوجه النتيجة أو الحكم النهائي من خلال رسم صورة ذهنية للقبيلة تجعل من فشل ما أساءه بالوشايات السابقة في النيل من مكانتها لدى الملك حجة على سلامة موقفها، وثباتها على الوفاء بالعهود وعدم نقضها، وأن هذه الأطروحة التي تعرض أمام الملك إنما هي من قبيل الوشاية والتهمة الخالية من الإنصاف، وهذه الحجة التي يستعملها الشاعر هنا هي حجة الماهية أو الذات، وتتمثل في تفسير حدث معين أو توجيه معطياته انطلاقاً من الذات التي يعبر عنها أو يجليها أو يوضحها (الدريدي، سامية، ٢٠١١، ٢٢٨).

ولا يقتصر الأمر على هذه الحجة فالأبيات تتضمن حجة قائمة على علاقة أخرى هي علاقة التبادلية^(٢٢)، وذلك حين تحدث عن وشاية تغلب بهم وأن هذا ليس جديداً عليهم، فطالما وشى الناس بهم، فلم يضرهم، فكأنهم الجبال لا يضرها من يرميها، ولا تؤثر فيها حوادث الدهر.

وهو هنا يماثل بين وضعيتين: وشاية بني تغلب، ووشاية الآخرين بهم، فيقرر الحكم في الحالين مؤكداً أن وشاية

(١) المرقش: المزين للكلام.

(٢) غرائك: إغرائك الملك بنا، قبل ما قد وشى بنا الأعداء: طالما وشوا بنا عند الملوك.

(٣) الشنأة: البغض، تمنينا: ترفعنا.

(٤) بيضت بأعين الناس: عظم عليها شأنهم فعميت عليهم أبصارهم، والتعيط: الارتفاع والامتناع، والإباء: رفض الضيم.

(٥) المنون: المنية والموت، تردي: ترمي، والأرعن: الجبل الأشم، والجون: الأسود.

(٦) المكفهر: المتراكم بعضه على بعض، ترؤه: تنقصه وتقصّر منه، ومؤيد: داهية شديدة.

(٧) حول هذه الحجة انظر: (صولة، عبدالله، ٢٠١١، ٤٥).

ملكٌ أضلعُ البريةَ لا يُو جدُ فيها لما لَدَيْهِ كَفَاءٌ»^{١١}
هذه الأبيات مرتبطة بالحالة الأخيرة التي أشار إليها
الحارث بقوله:

أو منعتُم ما تسألونَ فمن حُدُّ ثَمُوهُ لَهُ عَلَيْنَا الْعَلَاءُ

والشاعر يعتمد أسلوب الاستفهام ابتداءً، وهو الأسلوب
المتسق مع الموقف الحجاجي القائم على الإقناع والإلزام،
والأسئلة الاستفهامية تستعمل "للسيطرة على الأحداث، بل
والسيطرة على ذهن المرسل إليه، وتسيير الخطاب تجاه ما يريده
المرسل، لا حسب ما يريده الآخرون" (الشهري،
عبد الهادي، ٢٠٠٤، ٣٥٢)، والتوجيه الذي يريده الحارث
هنا تسيير الخطاب نحو أحداث متفقا يرى أن في تداولها في
هذا المقام نصرة لموقف قومه وقوة في بيان حجته.

ويتجه الحارث في هذا الأسلوب الاستفهامي إلى استعمال
حجة التبادلية، فهو هنا يباثل بين حالتين: الأولى حالة
الفوضى القائمة على القوة ومنع الحق والاستعلاء ومنع
الاحتكام إلى العقل والمنطق الذي قد يلجأ إليه بنو تغلب حين
يَمْنَعُونَ ما يسألون من الاحتكام إلى العدل والمنطق
واستقصاء الحقائق وإبرازها وحفظ الحقوق، والحالة الثانية
هي حالة بني بكر حين انتهب الناس وسادت الفوضى، فيقرّر
الحكم نفسه، وهو علو بني بكر، وخوف الناس منهم، وعدم
قدرتهم على ظلمهم، بل إنهم أقدر القبائل على أخذ الآخرين
بالقوة، والحجة هنا قائمة على تقرير الحكم في الحالين، وهذه
الحجة لا تظهر نجاعتها إلا إذا تناسينا كل ما يفرق بين هاتين
الحالتين من تغيرات تأريخية وواقعية، وما قد يكون استجد في
شأن البكرين والتغليبين من عوامل القوة والضعف.

ويبدو التلميح إلى حجة التناقض من جديد في نهاية
المقطع، إذ جعل الشاعر المنذر بن ماء السماء شهيداً على بذهم
يوم الحيارين، فأى محاولة لتجريم بني بكر هي مناقضة لمنطق
العدل الذي يتصف به الملك، ولتقتضى منطق التعديل الذي
يقوم عليه اعتزاز الشاعر بشهادته.

بين القبيلتين؛ ليؤكد سلامة موقف بني بكر، وبطلان هذه
الدعوى، ثم هو يؤكد قوة بني بكر، وانكسار القبائل دون
الطمع بظلمهم.

وأما الحجة النفعية فهي التي تؤدي إلى تقويم قرار أو
حدث معين بالنظر إلى نتائجه الإيجابية أو السلبية (المرجع
نفسه، ٢٢٨-٢٣٢)، فالحارث يشير إلى النتائج السلبية التي
سيواجهها بنو تغلب في حال إصرارهم على هذا الادعاء، إذ
إنه سيؤدي إلى نبش الأحداث الماضية التي سيتبين من خلالها
معايب بني تغلب وهزائمهم التي طالما منوا بها، كما سيثير
أحداثاً طالما أغضى عليها البكريون حفظاً للعهد، ومراعاة
للقرى وصله الرحم، كما أن إصرارهم على الخلاف لن يؤدي
بهم إلا إلى الهزائم لقوة جانب البكرين ومنعتهم.

ونجاعة هذه الحجة في هذه الأبيات تأتي من جهة أن
الحارث استطاع أن يعلق المنافذ على بني تغلب عاداً
الاستمرار في هذا الادعاء في غير صالح التغليبين في جميع
حالاته ومآلاته.

سادساً- لوحة الحجاج التأريخي:

والقصيدة تنتقل بعد ذلك من الإجمال إلى التفصيل، في
محاولة لإثبات هذه الحجج، فتبدأ بإثبات قوة بني بكر حين
ضاع الناس وبدؤوا ينتهبون، فلا العزيم يقيم بالبلد السهل،
ولا الذليل ينفعه الهرب والنجاء، يقول:

هَلْ عَلِمْتُمْ أَيَّامَ يَتَهَبُ النَّا سٌ غَوَارًا لِكُلِّ حَيٍّ عَوَاءٍ^{١٢}
إِذْ رَفَعْنَا الْجَمَالَ مِنْ سَعَفِ الْبَحْرِ رَيْنَ سِيرًا حَتَّى تَهَاها الْحَسَاءُ^{١٣}
ثُمَّ مِلْنَا عَلَى تَمِيمٍ فَأَحْرَمَ سَا وَفِينَا بَنَاتٌ مَرَّ إِمَاءٍ^{١٤}
لَا يَقِيمُ الْعَزِيمُ بِالْبَلَدِ السَّهْلِ سَلْ وَلَا يَنْفَعُ الذَّلِيلُ النَّجَاءُ^{١٥}
لَيْسَ يُنَجِّي مُوَاتِلًا مِنْ جِذَارِ رَأْسِ طَوْدٍ وَحَرَّةٍ رَجَائِ^{١٦}
فَمَلَكْنَا بِذَلِكَ النَّاسَ حَتَّى مَلَكَ الْمَلِكُ بَنُ مَاءِ السَّمَاءِ^{١٧}
وَهُوَ الرَّبُّ وَالشَّهِيدُ عَلَى يَوْمِ الْحِيَارِينَ وَالْبَلَاءِ بَلَاءِ^{١٨}

(١) الغوار: أن يغير بعضهم على بعض، والعواء: الصياح.

(٢) سعف البحرين: نخلها، والحساء: حشي البحر وهو ماؤه.

(٣) أحرمتنا: دخلنا في الأشهر الحرم، ومر: هو أبو تميم الذي تنسب له
القبيلة.

(٤) النجاء: الهرب.

(٥) الموائل: الهارب، والطود: الجبل العظيم، والحرة: الأرض حجارتها
وجبالها سود، والرجلاء: الشديدة التي يرتجل الناس فيها لشدتها.

(٦) يوم الحيارين: يوم غزا فيه المنذر بن ماء السماء أهل الحيارين ومعه بنو
يشكر، فأبلوا بلاء حسنا.

(٧) أضلع البرية: لا أحد يضطلع بها يضطلع به.

سابعاً: لوحة الحجاج العقلي:

شكّل الاجترار التاريخي في المقطع السابق حجر الزاوية في بناء صورة أوليّة للحجاج وفي توجيه المتلقي ومحاولة إقناعه والتأثير عليه، ومن الطبيعي أن يفضي إلى الواقع الراهن وإلى الحجج العقلية والمنطقية، يقول:

فَأْتَرُكُوا الْبَغْيَ وَالْتَعَدِي وَإِمَا تَتَعَاشُوا فَنِي التَّعَاشِي الدَّاءُ^(٢)
وَأَذْكُرُوا حَلْفَ نِي الْمَجَاز وَمَا قَدْ دَمَّ فِيهِ الْعُهُودُ وَالْكَفَلَاءُ^(٣)
حَدَرَ الْحَوْنِ وَالْتَعَدِي وَهَلْ يَنْبُ قُضِّ مَا فِي الْمَهَارِقِ الْأَهْوَاءُ^(٤)
وَأَعْلَمُوا أَنَّا وَإِيَّاكُمْ فِيهِمَا اشْتَرَطْنَا يَوْمَ اخْتَلَفْنَا سَوَاءً
أَعْلَيْنَا جُنَاحُ كِنْدَةَ أَنْ يَغْدَ نَمَّ غَازِيَهُمْ وَمِنَّا الْجَرَءُ
أَمْ عَلَيْنَا جَرَى حَنِيفَةَ أَوْ مَا جَمَعَتْ مِنْ مُحَارِبِ عَبْرَاءُ^(٥)
أَمْ جَنَابَا بَنِي عَتِيْقَ فَمَنْ يَغْدَ لِدِرٍ فَإِنَّا مِنْ حَرِيْمِهِمْ بُرَاءُ
أَمْ عَلَيْنَا جَرَى الْعِبَادِ كَمَا نِيَبُ طَبَّ بِجُوزِ الْمَحْمَلِ الْأَعْبَاءُ^(٦)
أَمْ عَلَيْنَا جَرَى قَضَاعَةَ أَمْ لَيْبُ سَسَّ عَلَيْنَا بِمَا جَنَوْنَا أُنْدَاءُ
لَيْسَ مِنَّا الْمُصْرَبُونَ وَلَا قَيْبُ سَسَّ وَلَا جَنْدَلٌ وَلَا الْحَدَاءُ
أَمْ عَلَيْنَا جَرَى إِيَادِ كَمَا قَيْبُ لَلِ لَطْسَمِ: أَخَوَكُمُ الْأَبَاءُ^(٧)
عَنَّا بَاطِلًا وَظَلْمًا كَمَا تَعُدُّ تَرُوعَنَّ حَجْرَةَ الرَّيْبِضِ الظُّبَاءُ^(٨)
وَتَمَانُونَ مَنْ تَمِيمٍ بِأَيْدِيهِمْ م رِمَاحٌ صُدُورُهُنَّ الْقَضَاءُ
لَمْ يُجْلَوْا بَنِي رِزَاحٍ بِرَبْقَا ء نِطَاعٌ هُمْ عَلَيْهِمْ دُعَاءُ^(٩)
تَرَكُوهُمْ مُلْحِحِينَ قَالُوا بِنَهَابٍ يَصَمُّ فِيهِ الْحَدَاءُ^(١٠)
وَأَتَوْهُمْ يَسْتَرْجِعُونَ فَلَمْ تَرَّ جَعُّ هُمْ شَامَةٌ وَلَا زَهْرَاءُ^(١١)

(٢) التعاشي: التعامي.

(٣) المهاريق: الصحف.

(٤) جرى: ذنوب، والغبراء: الصعاليك الفقراء، والأرض.

(٥) نبط: علق، وجوز المحمل: وسط البعير، والأعباء: الثقل.

(٦) طسم: قبيلة من العرب، وكان طسم وجديس أخوان، فكسرت جديس على الملك خراجها، فأخذت طسم بذنوب جديس، والأبواء: الذي أبي دفع الخراج.

(٧) العنن: الاعتراض، وتعتز: تذبح، وحجرة الربيض: حظيرة الغنم، وكان الرجل من العرب ينذر إذا بلغت شياهاه مئة أن يذبح عشرة منها شاة، وذلك في رجب، فكان البخيل منهم إذا دخل رجب وبخل بغنمه صاد الطباء وذبحها عن غنمه.

(٨) بنو رزاح: قوم من تغلب، ونطاع: أرض قريبة من اليمن، وكان عمرو من بين سعد بن زيد مائة خرج في ثمانين من بني تميم، فغزوا بني رزاح فقتلوا منهم، وأخذوا أموالهم.

(٩) ملحين: مقطعين بالسيف، والنهاب: ما ينهب من الأموال ونحوه.

ومن جهة أخرى فقد استعمل الحارث حجة تكميلية أخرى، وهي حجة المثال، وهي من حجج تأسيس الواقع، فيتأسس - كما تذكر سامية الدريدي - "على ظاهرة مفردة، يتم توسيعها، بحيث تصبح حالة عامة، لا مجرد حالة خاصة تم الانطلاق منها وبناء الواقع عليها" (الدريدي، سامية، ٢٠١١، ٢٤٣).

لقد اتخذ الشاعر من الحالة الخاصة للمنذر بن ماء السماء نموذجاً لتثبيت رأيه وتدعيمه، ولتوجيه المتلقي إلى تبرة جانب قومه، فالحارث يعرف تأريخ المنذر بن ماء السماء في الوقوف مع قبيلته، وفي الإيقاع ببني تغلب في مواطن، ويحاول أن يقدمه نموذجاً للموقف الذي يحاول جرّ عمرو بن هند إليه، فيوظفه في سبيل توجيهه إلى سلوك معين، وتخريضه على استلهم موقف محدد مناسب للمقام الذي يعيشه الشاعر.

وقد اختار الحارث هنا نموذجاً الذي يجب احتذاؤه بعناية فائقة، إذ لا يمكن أن يرتضي عمرو بن هند - وهو الملك - نموذجاً من عمارة الناس، أو من ملوك آخرين؛ ولذا فقد جعل الحارث نموذجاً من آباء عمرو بن هند نفسه، فتحقق له بذلك رضا المتلقي عن النموذج، وهيبة النموذج التي يطالب بها النقاد^(١).

وجانب آخر نلمحه هنا، وهو أن انصراف الشاعر إلى نموذج من آباء عمرو بن هند يتصل بحجة أخرى يسميها النقاد صلة الشخص بأعماله، "وتتمثل في تفسير حدث أو موقف ما أو التنبؤ به انطلاقاً من الذات التي يعبر عنها أو يجليها أو يوضحها" (الدريدي، سامية، ٢٠١١، ٢٢٨)، فالحارث يحاول أن يستغل انتساب عمرو إلى أبيه المنذر، ليصنع نسقاً يتصل بموقف هذه العائلة من خلال أعمالها السابقة، وبذلك فهو يتخذ من أشخاص هذه العائلة نسقاً واحداً تُفسر به هذه الأعمال أو يُتنبأ بها، وغير خاف أن الملوك عادة يأنفون من الخروج عن سنن آبائهم وعن صورتهم التي شاعت بين الناس وصنعت لهم الهيبة، وبذلك فإن الإيجاء المبطن هنا يعمل على توجيه سلوك المتلقي وقيادته إلى الموقف الذي يريده الشاعر.

(١) حول هيبة النموذج انظر: (الدريدي، سامية، ٢٠١١، ٢٤٥).

طريق الظلم، واتباع للأهواء، وتعدُّ على حلف ذي المجاز، وما قدّم فيه من العهود، وما كتب في المهارق وشهدت به الكفلاء، وبالتالي فإن مطالبته تناقض العهود التي يعتمدون عليها، وهو ما فسره بالأهواء وبالطيخ والتعاشي.

والشاعر هنا يقابل بين ثنائيتين، تتضمن الأولى دعوى بني تغلب القائمة على الأهواء والتعاشي والخيانة والتعدي والبغي، وتتضمن الأخرى العهود والكفلاء وما في المهارق من التساوي في الشروط والتبعات.

ثم ينتقل بعد ذلك إلى حججه الأخرى، فيستعمل ما يسميه بعض النقاد بالأسئلة المغلقة، وهي -كما يذكر عبد الهادي الشهري- "من أهم الأدوات اللغوية الإستراتيجية التوجيهية" (الشهري، عبد الهادي، ٢٠٠٤، ٣٥٢)، فيحاول من خلال هذه الإستراتيجية توسيع دائرة القضية برسم صورة كاملة للجنايات التي أُخِذَتْ بها تغلب من قبل القبائل العربية الأخرى، والنكبات التي مُنِنَتْ بها على أيدي القبائل العربية المختلفة.

وهذه الإستراتيجية التي لجأ إليها الحارث تتضمن ألواناً من تقنيات الحجج المنطقية الواقعية والمؤسّسة للواقع، فمن جهة الحجج المنطقية فإننا نرى الحارث يقيم علاقة تبادلية بين هذه الأحداث وبين ادّعاء التغلبيين، والعلاقة التبادلية تتمثل "في معالجة وضعيتين إحداهما بسبيل من الأخرى معالجة واحدة، وهو ما يعني أن تينك الوضعيتين متماثلتين وإن بطريقة غير مباشرة" (صولة، عبد الله، ١٩٩٨، ٣٢٨).

لقد جعل الحارث بن حلزة نكبة التغلبيين التي تقوم عليها المحاججة أمام عمرو بن هند كالنكبات التي منوا بها من قبل بقية القبائل العربية؛ ليضعها إزاء نكبتهم الحاضرة بوصفها صنفاً واحداً يجب التعامل معه بكيفية واحدة، فساوى بين حالتين ووضعيتين مختلفتين محاولاً أن يقرّر الحكم نفسه فيها، فكما أن النكبات السابقة التي نكب بها التغلبيون لم تنكشف عن الأخذ بثأر من قتل منهم فكذلك في هذه الحالة، إذ يتضمن ذلك علّة ما تدل عليها الحالات السابقة، إما لعدم استحقاقهم الثأر، أو لضعفهم عن حماية أنفسهم في مجتمع يقدر القوة ويحترمها، أو نحو ذلك.

وتأتي هذه الحججة في صورة أخرى عند وصف النكبات التي أوقعتها بهم النعمان بن المنذر الأكبر بقيادة الغلاق،

ثُمَّ فَأَوْوا مِنْهُمْ بِقَاصِمَةِ الـ ظَهَرَ وَلَا يَبْرُدُ الْغَلِيلَ الْمَاءُ^(١)
مَّ حَيْلٍ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ مَعَ الْغَلَّاقِ لَا رَافَةَ وَلَا إِيقَاءَ^(٢)
مَا أَصَابُوا مِنْ تَعْلِيٍّ فَمَطَّلُوا لَّ، عَلَيْهِ إِذَا تَوَلَّى الْعَقَاءَ^(٣)
كَتَّالِيفِ قَوْمِنَا إِذْ غَزَا الْمُنْدَرَ نَزِرْ هَلْ نَحْنُ لِابْنِ هِنْدِ رِعَاءَ^(٤)
إِذْ أَحَلَّ الْعَلَاءَةَ قَبَةَ مَيْسُو نَ فَادْنَى دِيَارِهَا الْعَوْصَاءَ^(٥)
فَتَأَوَّتْ لَهُمْ قَرَاظِبَةٌ مِنْ مَحَلِّ حَيٍّ كَأَنَّهُمْ أَلْقَاءَ^(٦)
فَهَدَاهُمْ بِالْأَسْوَدَيْنِ وَأَمَرَ اللَّهُ بَلِّغْ يَشْقَى بِهِ الْأَشْقِيَاءَ^(٧)
إِذْ تَمَتَّوَتْهُمْ غُرُورًا فَسَاقَتْ هُمْ إِلَيْكُمْ أَمِيَّةً أَشْرَاءَ^(٨)
لَمْ يَعْرِوْكُمْ غُرُورًا وَلَكِنْ يَرْفَعُ الْأَلَّ جَمْعُهُمْ وَالضَّحَاءَ^(٩)

هذا المقطع أطول المقاطع، وأكثرها تنوعاً في استعمال العلاقات الحجاجية المختلفة.

يبدأ المقطع بمطالبة بني تغلب بترك البغي والتعاشي والالتزام بالعهود والمواثيق، وتجنب الأهواء التي تناقض ما كتب في المهارق، والحجة المبدئية التي ينطلق منها الحارث في هذا المقطع هي حجة التناقض، فهو يشير بشكل مباشر إلى أن ادعاء التغلبيين مناقض للعدل والإنصاف، وتعمدٌ لسلوك

(١) الشامة: الناقة السوداء، والزهراء: الناقة البيضاء.

(٢) الغليل: الحرارة تكون في الصدر.

(٣) الغلاق: رجل من بني يربوع بن حنظلة من تميم، كان على هجائن النعمان بن المنذر الأكبر أغار على بني تغلب وقتل فيهم.

(٤) المظلون: من أبطل دمه.

(٥) المنذر: هو المنذر بن ماء السماء، قتله قوم من بني غسان في غزوة له، فانحازت فئة من بني تغلب عنه، فلما ولي عمرو بن هند، بعث إليهم ليرجعوا إلى طاعته، فأبوا، وقالوا: "هل نحن لابن هند رعاء"، فسيّر عمرو وأخاه النعمان بجيش إلى غسان، يطلب دم أبيه، وجعل أول غزوته على الذي خلفوه من تغلب، فقتل منهم، ثم سار على غسان فقتل ملكها، وأخذ ابنته ميسون.

(٦) العلاءة والعوصاء: العلاءة أرض أنزل بها عمرو بن هند ميسون الغسانية بعد أن قتل أباهما أولاً، ثم أنزلها العوصاء.

(٧) تأوت: اجتمعت، والقراظبة: الصعاليك، والألقاء: الشيء يلتقى فلا يؤبه به.

(٨) الأسودان: التمر والماء، والمعنى أنه غزا بهم على ملء بطونهم.

(٩) الال: ما يخيل للإنسان أنه يراه في الصحراء إذا ارتفع النهار، والضحاء: ارتفاع النهار.

فالحارث هنا يتجه إلى ذكر التناقض في الدعوى نفسها، التناقض بين تحميلهم هذه الجنايات وعدم مشاركتهم في الغنائم، أو كما يعبر ابن الأنباري في شرح هذا البيت: "أنغتم كندة فيكم، ويكون جناح ما صنعوا علينا" (ابن الأنباري، ٢٠١٠، ٤٧٩)، والتناقض الذي يحمله الادعاء نفسه أقوى حجة وأوسع أثرًا في إسقاط أي ادعاء؛ لأن التناقض في جزء من الدعوى يسقط الدعوى كاملة، ولأن التناقض في جزء من الادعاء ذاته يحمل إقرارًا من صاحب الادعاء بعدم صدق دعواه، وهو ما حاول الحارث أن يقرره في هذا البيت؛ ليؤكد أن هذه الدعوى تحمل التناقض في ذاتها؛ لأنه من البدهي أن يتحمل صاحب أي عمل أو جنائية أثر عمله وجنائته، لا أن يتحمل غرمها دون غنمها.

وعلى نحو ما حملت الأبيات حججًا تحمل البنى المنطقية حملت كذلك حججًا تعتمد العلاقات الرياضية، ومن أبرزها حجة التعديّة^(١)، ففي حديثه عن غزو المنذر الأكبر ثم عمرو بن هند لبعض بني تغلب نلمح تعديّة هذا الحكم، فكأنه يقول: أعداء الأمس أعداء اليوم، وأصدقاء الأمس أصدقاء اليوم، وهذه التعديّة كما لا يخفى تاريخية أو زمنية، تحاول أن تنشئ علاقات تاريخية للوصول إلى تعديّة الحكم الذي يريده الشاعر.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنه يحاول استغلال علاقة عمرو بن هند بالمنذر في تعديّة الحكم ذاته، فما دام بنو يشكر أصفياء للمنذر، والمنذر أبٌ لعمرو بن هند فإن بني يشكر أصفياء لعمرو بن هند تبعًا لذلك، وما دام أن بني تغلب أعداء للمنذر، فإنهم والحالة هذه أعداء لعمرو بن هند، ويمكن صياغة هذه الحججة من خلال المعادلة الرياضية التالية:

(أ- عمرو بن هند × ب- المنذر الأكبر)

(ب- المنذر الأكبر × ج- بنو بكر وبنو تغلب)

إذن = (أ- عمرو بن هند × ج- بنو بكر وبنو تغلب)

فما دام أن عمرو بن هند على علاقة صفاء وبنوة بالمنذر الأكبر، والمنذر الأكبر عدوٌ لبني تغلب، فقد حاربهم وأوقع بهم، وحليف لبني يشكر، فقد ساروا في جيشه وناصروه، فإن عمرو بن هند حليفٌ لبني يشكر وعدو لبني تغلب.

وعمر بن هند من بعده بمشاركة البكرين، محاولاً أن يضعها بوضعيتين متماثلتين، فيقرّر الحكم ذاته على الحالة الراهنة، ولكن هذه الحالة لا يمكن الركون إليها إلا بتناسي التطابق التام بين الحالتين؛ لأن إيقاع المنذر وعمرو بن هند ببعضهم كان إيقاعاً للسلطة القاهرة ببعض أفرادها، ولا يمكن أن يتأتى هذا الحكم للأفراد داخل هذه السلطة، كما أن عمرو بن هند لم يكن مرتبطاً معهم بعهد معين تجاه تحميل الديات وتبعات القتلى.

ولا يقتصر الأمر على هذه العلاقة فقد ضمّن الحارث هذه المقطع علاقات أخرى، لعل من أبرزها علاقة التناقض التي يتضمنها تحميل بني بكر جنائيات القبائل الأخرى، إذ يقرّر أن هذا الحكم مناقض للعدل القائم على تحميل كل قبيلة وزر أعمالها، والحارث يريد هنا أن يقرر أن مطالبة بني تغلب بدية نفر قضاوا عطشى لا معنى لها، وأن مطالبة الثأر هنا يجب أن تكون في أولئك الذي قضاوا في المواجهات الحربية التي خاضها التغلبيون، وأن مطالبتهم بني بكر بالديات إنما هي أثرٌ من أثر الأحداث التي قابلوها وعانوها مع هذه القبائل.

وهذا اللون من التعارض يسميه بيرلمان الهزء، ويعني إماطة اللثام عن تعارض أطروحات الخصم مع الرأي السائد بصورة تدعو للهزء والسخرية (صولة، عبدالله، ١٩٩٨، ٣٢٦-٣٢٧)، ولا يخفى ما في تحميل بني بكر جنائيات القبائل الأخرى التي أوقعت ببني تغلب وتعدادها واحدة بعد واحدة من الهزء والسخرية، وما تضمنته بعض الأبيات من السخرية المباشرة، كقوله: (فلم ترجع لهم شامة ولا زهراء/ ما أصابوا من تغلبي فمطول...)، والحجة في هذا اللون من الحجاج تستمد قوتها من قيامها على غرار البناء المنطقي مع تفسيرها في صورة حصول تعارض مع الرأي السائد بدون مسوغ (الدريدي، سامية، ٢٠١١، ٢٧٠ وما بعدها).

لقد استعمل الحارث هذا لوناً من ألوان التناقض بين هذا الادعاء والقيم الثابتة التي يؤمن بها الجميع وترجع إليها المخاصمات في الأبيات السابقة للتأكيد على أن هذا الطرح لا يتفق مع هذه القيمة الخارجية إن جاز التعبير، لكنه لم يغفل عن تأكيد مبدأ التناقض في الدعوى نفسها -أيضاً حين أشار إلى تحميلهم هذه الجنايات مع عدم مشاركتهم في الغنائم في قوله:

أَعَلَيْنَا جُنَاحُ كِنْدَةَ أَنْ يَغْ نَمَ غَازِيَهُمْ وَمَنَا الْجَزَاءُ

(١) حول حجة التعديّة انظر: (الدريدي، سامية، ٢٠١١، ٢٠٣).

المستمر مع تقلبات النصّ، ومن اكتساب خصوبة يستدعيها التلاؤم المفيد مع تجدد مقتضيات الكلام" (عبد الرحمن، طه، ١٩٩٨، ٢٦٧).

ويلفت النظر استعمال الحارث لأسلوب الاستفهام، وهو أسلوب إنشائي كما يقرره البلاغيون القدماء، وقد استعمله الحارث هنا في غير معناه الحقيقي، إذ خرج به إلى الإنكار، عامداً إلى تحويل الموقف المقابل في المقام التواصلية واستماتته، أو هو - كما يقرر عبد القاهر الجرجاني - في شأنه أسلوب يعمد إلى الإفحام والدحض وردّ الدعوى، يقول: "واعلم أنّا وإن كنا نُفسّر الاستفهام في مثل هذا بالإنكار، فإن الذي هو محض المعنى أنه لَيَتَنَبَّه السامع حتى يرجع إلى نفسه، فيخجل، ويرتدع، ويعيا بالجواب" (الجرجاني، عبد القاهر، ١٩٨٩، ١١٩).

والطاقة الحجاجية لهذا الموقف تعتمد على اتفاق أطراف الموقف التواصلية بأن هذا الموقف المذكور والمستهجن - وأعني به تحميل أحد أطراف النزاع جناية لم يرتكبها - منافٍ لأي قيمة منطقية أو حجاجية.

ثامناً- لوحة الحجاج التواصلية والعاطفية:

ثم تتقل القصيدة بعد ذلك لي طرح الحارث آخر حججه في المقطع الأخير، فيقول:

أَيُّهَا الشَانِيُّ الْمُبْلَغُ عَنَّا نَدَّ عَمْرُو، وَهَلْ لِنَاكَ إِتِهَاءٌ^(٣)
 مَلِكٌ مُقْسِطٌ وَأَكْمَلُ مَنْ يَمْسُ — شِي، وَمَنْ دُونَ مَا لَدَيْهِ الشَّاءُ^(٤)
 إِرْمِي بِمِثْلِهِ جَالَتْ الْجِنُّ فَآبَتْ لِحِصْمِهَا الْأَجْلَاءُ^(٥)
 مَنْ لَنَا عِنْدَهُ مِنَ الْحَرِيرِ آيَا تٌ ثَلَاثٌ فِي كُلِّهِنَّ الْقَضَاءُ^(٦)
 حَوْلَ قَيْسٍ مُسْتَلْتَمِينَ بِكَيْشٍ ءُؤَا جَمِيعاً لِكُلِّ حَيٍّ لَوَاءُ^(٧)
 وَصَيَّتِ مِنَ الْعَوَاتِكِ مَا تَنَسَّ قَرِظِي كَأَنَّهُ عِبْلَاءُ^(٨)
 سَهَاءٌ إِلَّا مُبِيصَةً رَعْلَاءُ^(٩)

(٣) الشانئ: المبعض.

(٤) المقسط: العادل.

(٥) إرمي: ذو ملك قديم، جالت: كاشفت، الأجلاء: الأمور المنكشفة.

(٦) الشارق: صاحب المشرق، والشقيقة: بنو الشقيقة من بني شيبان، أغاروا على أبل لعمر بن هند، فردتهم بنو يشكر، وقتلوا فيهم.

(٧) مستلتمين: لبسوا الدروع، قرظي: منسوب إلى اليمن، عبلاء: هضبة بيضاء.

وبالإضافة إلى ذلك فقد استعمل الحارث في هذه اللوحة حججاً مؤسّسة لبنية الواقع، فاستعمل التمثيل والاستدلال، واستطاع أن يرسم هذه الصورة المعبرة عن تحميلهم جريرة غيرهم:

أَمْ عَلَيْنَا جَرَى إِيَادِي، كَمَا قَيْسٌ لَ لِيَطْسَمَ: أَخُوكُمْ الْأَبَاءُ^(١٠)
 عَنَّا بَاطِلًا وَظَلْمًا كَمَا تَعَرُّ عَنْ حَجْرَةِ الرَّيْضِ الظُّبَاءُ^(١١)
 فهو هنا يلجأ إلى الاحتجاج بالتمثيل، ويقدم غاية الخطاب الحجاجي وما يريد الاستدلال عليه من خلال تشكيل بنية واقعية تسمح بإيجاد حقيقة معينة أو إثباتها عن طريق تشابه في العلاقات، فيستدلّ لسلامة موقف قبيلته وأن بني تغلب إنما تحاول أن تأخذهم بجريرة غيرهم بعلاقة الشبه التي تربطها بأمر آخر، وهو هنا أخذ طسم بذنب أخيهم، وذبح الظباء مكان الغنم في بعض نذور الجاهلية، وهذا ما يسميه بيرلمان بالاستدلال بواسطة التمثيل، إذ يعدّ التمثيل هنا أداة برهنة، قائمة على تماثل بين بنى متشابهة من مجالات مختلفة (صولة، عبدالله، ١٩٩٨، ٣٣٩)، ويمكن تمثيل هذا التشابه على الصورة التالية:

أ- بنو بكر ← ب- الجناة
 ↓ ↓

ج- طسم/الظباء ← و- الأبناء/حجرة الربيع
 والتشابه هنا يأتي في العلاقة، فعلاقة بني بكر بمقتل هؤلاء ومحاولة تحميلهم مسؤولية مقتلهم تشبه علاقة طسم بأخيه الأبناء، وعلاقة الظباء بجماعة الغنم التي استحقت الذبح لأجل النذر.

واستعمال البيان هنا بجانب الحجة يمكنها - كما يذكر طه عبد الرحمن - " من اكتساب مرونة يدعو إليها التكيف

(١) طسم: من قبائل العرب، الأبناء: الذي أبقى دفع الخراج، وكانت طسم وجديس أخوين، فكسرت جديس على الملك خراجها، فأخذت طسم بذنب جديس (ابن الأنباري، ٢٠١٠، ٤٨٣).

(٢) عننا: اعتراضاً، تعتر: تذبح عتيرة، والعتيرة: ذبيحة كانوا يذبحونها في رجب لأهنتهم، الحجر: الحظيرة تتخذ للغنم، الربيع: جماعة الغنم، وكان من شأنهم أن الرجل ينذر إن بلغت شأوه مئة أن يذبح من كل عشرة منها واحدة للآلهة، وذلك في رجب، فكان بعضهم إذا دخل عليه رجب وبخل أن يذبح من غنمه صاد من الظباء وذبحها عن غنمه ليفي نذره (ابن الأنباري، ٢٠١٠، ٤٨٣).

فَجَبَّهَانَهُمْ بِصَرْبٍ كَمَا يَجْزُ
وَمَحَلَّنَاهُمْ عَلَى حَزْمٍ تَهْلًا
وَفَعَلْنَا بِهِمْ كَمَا عَلِمَ اللَّهُ
ثُمَّ حُجْرًا أَعْنِي ابْنَ أُمَّ قَطَامٍ
أَسَدٌ فِي اللَّقَاءِ وَرَدُّ هُمُوسٌ
وَفَكَّكَنا غُلَّ أَمْرِئِ الْقَيْسِ عَنَّهُ
وَأَقْدَنَاهُ رَبَّ عَسَانَ بِالْمُنَى
وَفَدَيْنَاهُمْ بِتِسْعَةِ أَمْلا
وَمَعَ الْجَوْنِ جَوْنَ آلِ بَنِي الْأَوْ
مَا جَزَعْنَا نَحْتِ الْعَجَاجَةِ إِذْ وَكَلَّتْ بِأَقْفَائِهَا وَحَرَ الصَّلَاءِ
وَوَلَدْنَا عَمْرُو بْنَ أُمَّ أَنَاسٍ
مِنْ قَرِيبٍ لَمَّا أَنَا الْحِبَاءُ
مِثْلَهَا تُخْرِجُ النَّصِيحَةَ لِلْقَوِّ
رُجٌّ مِنْ خُرَيْبَةِ الْمَزَادِ الْمَاءِ
نَ شِلَالًا وَدُمِّي الْأَنْسَاءِ
وَمَا إِنْ لِلْحَائِنِينَ دِمَاءُ
وَلَهُ فَارِسِيَّةٌ خَضْرَاءُ
وَرَبِيعٌ إِنْ شَنَعَتْ غِبْرَاءُ
بَعْدَ مَا طَالَ حَيْسُهُ وَالْعَنَاءُ
زِيرٌ كَرَاهًا إِذْ لَا تُكَالُ الدَّمَاءُ
لِ نَدَامِي أَسْلَابِهِمْ أَغْلَاءُ
سِ عَنُودٌ كَأَنَّهَا دَفُوءُ
وَلَّتْ بِأَقْفَائِهَا وَحَرَ الصَّلَاءِ
مِنْ قَرِيبٍ لَمَّا أَنَا الْحِبَاءُ
مِثْلَهَا تُخْرِجُ النَّصِيحَةَ لِلْقَوِّ

تبدأ الأبيات بذكر إقسط الملك وإنصافه، ثم تعرض حججاً ثلاثاً كما وصفها الحارث.

وهذه الحجج تقوم على استمالة عمرو بن هند من جهة تواصلية، فيتضح فيها جانب الاستمالة العاطفية، فهي تبدأ بالثناء على عمرو بن هند وعلى إقسطه، وعلى تذكر علاقة القبيلة الصافية به وإخلاصهم له في مواقف سابقة، وتحجج لنصحهم له بقرابتهم له، وأهم أحوال أبيه.

وبنية هذه الحجج بعامة تقوم على التعدية، وهي حجة - كما ذكرت من قبل - قائمة على تعدية حكم معين إلى حكم آخر، وتعود إليها أصناف كثيرة من الحجج، تجدها بطريقة خفية وبأثواب مختلفة، إما لعلاقة التساوي أو التفوق أو التضمن أو الاشتغال أو نحو ذلك (الدريدي، سامية، ٢٠١١، ٢٠٤).

لقد جعل الشاعر من حججه أن يعدد هذه المواقف التي أخلص بها بنو بكر لعمر بن هند ونصروه، ففي يوم الشقيقة ردت بنو يشكر بني الشقيقة عن إيل عمرو بن هند، ويمكن صياغة هذه الحجج على النحو التالي:

- يوم الشقيقة يدل على إخلاصهم ونصرتهم للملك في أحلك الظروف وأشدّها.

- إخلاصهم ونصرتهم للملك تقتضي مكافأتهم ونصرتهم.

- إذن يوم الشقيقة وما بذلوه فيه يقتضي نصرتهم والحكم لهم ضد بني تغلب.

والتعدية تأتي من نقل الحكم المرتبط بيوم الشقيقة وتعديته إلى الموقف الحاضر.

والحجج التي أوردها الحارث بعد ذلك كلها تجري على هذا النسق، فمشاركتهم إياه في الحروب ودفاعهم عنه وقرباتهم منه كلها تدل على نصحتهم للملك وقربهم منه وأنهم أجود الناس منه منزلة ومكاناً، وهذه المكانة تقتضي مكافأتهم ونصرتهم في هذا الوطن والحكم لهم، وبالتالي فإن هذه الآيات والدلائل تقتضي أن يحكم عمرو بن هند لهم، وألا يلتفت إلى ادعاء بني تغلب.

(١٣) الفلاة: الصحراء، والجمع الأفلاء، وأراد أن نصيحتهم له واسعة كالفلاة التي دونها أفلاء كثيرة.

(١) الصنيت: الجماعة، والعواتك: نساء من كندة من الملوك، ومبيضة رعلاء: ضربة موضحة عن بياض العظم.

(٢) خربة المزد: عروة القرية (ابن منظور، حرب).

(٣) حزم تهلان: ما غلظ من هذا الجبل، وشلالا: هرابا، والأنساء: جمع النساء، وهو عرق يأخذ من منشق ما بين الفخذين، فيستمر في الرجلين (الخليل بن أحمد، نسي).

(٤) الحائنون: المتعرضون للحين، وهو الهلاك (ابن دريد، حني).

(٥) حجر: حجر الكندي غزا امرأة القيس بن المنذر بن ماء السماء فجمع من كندة، فردته بنو بكر بن وائل، وقتلت جنوده، وفارسية خضراء: كتيبة سلاحا من فارس خضراء من كثرة السلاح.

(٦) الورد: الأسد، والهموس: المختال الذي يخفي وطأه حتى يأخذ فريسته.

(٧) امرؤ القيس: ابن النعمان بن منذر، أسرته غسان وقتلت أباه، ثم قتل عمرو بن هند ملك غسان بأبيه واستنقذ أخاه ومعه بنو بكر بن وائل.

(٨) لا تكال الدماء: لا تحسب لكثرتها.

(٩) تسعة أملاك: أبناء حجر أكل المرار بعد قتله، وقد كانوا رجعوا لليمن بعد مقتل أبيهم، فلحقهم بكر، وظفرت بهم قبل اليمن، وأتوا بهم النعمان بن المنذر في الحيرة، فأمر بقتلهم فقتلوا.

(١٠) الجون: من ملوك كندة، وكان جاء في كتيبة ليمع بني حجر، فهزمته بنو بكر بن وائل، وأخذوا ابنه، وأتوا به المنذر بن ماء السماء، والعنود: الكتيبة المحكمة، والدفواء: المنعطفة على من فيها.

(١١) الصلاة: شدة الاضطلال بالنار.

(١٢) الحباء: المهز، أراد أنها خطبها خطبة، ولم بأسرها.

وقد كشفت هذه الدراسة تعدد محاور الحجاج وتقنياته التي استعملها الحارث في إطار استمالته عمرو بن هند إلى رأيه ورأي قومه، فأظهرت تعدد أنواع هذه الحجج التي مارسها الحارث وتنوع مساربها بما يكشف قدرته على الحجاج، والإمساك بأساليب الإقناع، والسيطرة على معاهد الجدل. وبالنظر في المعلقة فقد انعقدت محاور الحجاج فيها حول إثبات عدم منطقية دعوى بني تغلب وسقوطها عقلاً وواقعاً، وخطورة تحميل بني يشكر مسؤولية هؤلاء القتلى من طرف خفي، كما تضمنت الاستمالة العاطفية لعمرو بن هند من خلال إثبات ولاء بني يشكر له.

لقد لحظت الدراسة تنوع تقنيات الحجاج وتداخلها، إذ وجدت أن الحارث استعمل نحوًا من خمسة عشر حجة جاءت موزعة على الحجج شبه المنطقية والحجج المؤسسة على الواقع والمؤسسة له، ولم تهمل حجج القيم وحجج المشترك. ويبرز في طليعة هذه الحجج شبه المنطقية القائمة على إثبات تعارض دعوى الخصم مع العدل والإنصاف في مواطن، وإثبات التناقض في دعواه في مواطن أخرى، وهذه الحجج كما يرى النقاد أقوى الحجج تأثيراً وأثراً بما يؤكد قدرة الحارث على إدارة الحجاج وعلى استمالة المتلقي إلى رأيه. كما لحظت الدراسة أن الحجة الواحدة كان تحمل في طياتها تقنية أو أكثر من تقنيات الحجاج بما يكشف تمكن الحارث من الحجاج، ويفسر إعجاب عمرو بن هند والنقاد من بعده بالقصيدة، ووضعها في صف القصائد المفردة مع عدم اعتمادها على الصور الفنية غالباً. وبالجملة فقد أظهر الحارث كفاءة عالية في استعمال تقنيات الحجاج وتوظيفها في هذه المعلقة لاستمالة الرأي المقابل وتحقيق التأثير المراد في هذه الموقف التواصلية.

المراجع العربية:

ابن أبي سلمى، زهير. شرح شعر زهير بن أبي سلمى صنعة العباس ثعلب. تحقيق: د. فخر الدين قباوة. الطبعة الأولى. بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

وبالإضافة إلى ذلك فإن هذه الحوادث تتضمن حجة رياضية أخرى، وهي حجة تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له من جهة دلالتها على إخلاصهم للملك؛ لأنها تتخذ من حكم ينطبق على هذه الحوادث الجزئية حكماً عاماً ينطبق على الكل، ويبدو هذا الحكم منطقياً لصبغته الرياضية الواضحة، ولكن التأمل لا يدل على ذلك، إذ يكفي المعارض أن يستدل بوجود حالات أخرى لا تدل على هذا الحكم، ليحدث شرخاً في الصبغة الرياضية لهذه الحجة.

ووجود هذا الشرخ في الصبغة الرياضية هو الذي يعطي الحجاج صبغته الإنسانية والفلسفية، فكل نقاش متعلق بمسألة العدل إذا لم يكن قابلاً للاختزال في حل ملزم منطقياً، فهو يدور حول صراع مصالح وقيم يجري التفكير فيها داخل إطار من النقاش المتناقض، بحيث قد يقتضي القرار في بعض الحالات اختياراً بين القيم التي تنقلها الحجج المتعارضة (المودن، حسن، ٢٠١٦، ٢٠-٢١).

ومما تضمنته هذه الآبيات كذلك حجة الغائية وتحديد حجة الاتجاه؛ ويعني رفض أمر ما لأنه سيكون الوسيلة التي تقودنا إلى غاية لا نريدها، أو إلى نتيجة نتجنبها ونخشى حدوثها (الدريدي، سامية، ٢٠١١، ٢٢٥)، فالحارث عندما يذكر تحالف بني يشكر وعمرو بن هند إنما يقرّر ضرورة استمرار هذا التحالف؛ لأن خسارته تعني خسارة عمرو بن هند لحليف مهم طالما أزره في الحروب، ولأن الحكم على بني يشكر سيؤدي إلى غاية يفترض أن عمرو بن هند لا يريدتها، وهي خسارة هذا الحليف الصادق، وبالتالي فالحكم على بني يشكر يؤدي إلى غاية لا يريدتها عمرو بن هند.

ومن الحجج التي تلمح هنا علاقة الذات بصفاتهما، حيث تتضمن الآبيات إثبات صفة الوفاء ل بكر بالاستدلال بماضيهم، وتسعى إلى تثبيت العلاقة بين القبيلة وأعمالها.

الخاتمة:

هدفت هذه الدراسة إلى مكاشفة الموقف الحجاجي للحارث بن حلزة في معلقته المشهورة، محاولة أن تفيد من الدراسات التي أطرت لهذا المجال، ومن هنا كان اختيار المدرسة التقنية.

الدريدي، سامية. *دراسات في الحجاج قراءة لنصوص مختارة من الأدب القديم*. الطبعة الأولى. الأردن: عالم الكتب الحديث، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

الدريدي، سامية. "الحجاج في هاشميات الكميت". *حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية*، العدد (٤٠)، (١٩٩٦م).

الريفي، هشام. "الحجاج عند أرسطو". *مجلة خاص بعنوان أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم*، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية-تونس، كلية الآداب-منوبة، سلسلة آداب، مجلد ٣٩، (١٩٩٨م).

الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد. *شرح المعلقات السبع*. تحقيق: لجنة التحقيق بالدار العالمية. بيروت: الدار العالمية، ١٩٩٣م.

سرحان، هشام. "الخطاب الحجاجي في شعر بشار بن برد". *مجلة جامعة أم القرى*، العدد (١١)، (محرم ١٤٣٥هـ).

السعيد، عبد الله بن سليمان. "الأسطورة الشخصية في شعر طرفة بن العبد قراءة تحليلية في ضوء النقد النفسي". *مجلة العلوم العربية*، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. العدد (٤٢)، (محرم ١٤٣٨هـ).

الشبعان، علي. *الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل*. الطبعة الأولى. نغازي: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠١٠م.

الشهري، عبد الهادي. *إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية*. الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، د.ت.

صولة، عبد الله. "الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكان". *مجلة خاص بعنوان أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم*. تونس: جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية-تونس، كلية الآداب-منوبة، سلسلة آداب، مجلد ٣٩، (١٩٩٨م).

صولة، عبد الله. *الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية*. الطبعة الثانية. تونس: منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة تونس، ودار المعرفة، بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٧م.

ابن الأباري، أبو بكر محمد بن القاسم. *شرح القصائد السبع الطوال*، حققه الشريبي شريدة، القاهرة، دار الحديث، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

ابن العبد، طرفة. *ديوان طرفة بن العبد شرح الأعلام الشتمري*، ويليه طائفة من الشعر المنسوب إلى طرفة. تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال. الطبعة الثانية. بيروت-البحرين: المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، دائرة الثقافة والفنون بالبحرين، ٢٠٠٠م.

ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم. *عيون الأخبار*. تحقيق: مفيد قميحة. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م.

أبو العباس ثعلب، أحمد بن يحيى. *شرح شعر زهير بن أبي سلمى*. تحقيق: د. فخر الدين قباوة. الطبعة الأولى. بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

أعراب، حبيب. "الحجاج والاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري". *مجلة عالم الفكر*. الكويت، المجلد ٣٠، العدد (١)، (يوليو-سبتمبر ٢٠٠١م).

التويجري، صالح. "الحجاج في كافوريات المتنبي مقارنة تحليلية في أنساق الحجج". *مجلة العلوم العربية*، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد (٤٥)، (شوال ١٤٣٨هـ).

الجرجاني، عبد القاهر. *دلائل الإعجاز*. قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود شاكر. الطبعة الثانية. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

حمداوي، جميل. *من الحجاج إلى البلاغة الجديدة*. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ٢٠١٤م.

الخطيب التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي. *شرح القصائد العشر*. تحقيق: فخر الدين قباوة. الطبعة الرابعة. بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

الدريدي، سامية. *الحجاج في الشعر العربي بنيتيه وأساليبه*. الطبعة الثانية. إربد: عالم الكتب الحديث، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

المودن، حسن. "في درس الحجاج من البلاغة الجديدة إلى الحجاج داخل الخطاب". مصنف مشترك بعنوان بلاغة الحجاج وتحليل الخطاب، المغرب: جامعة القاضي عياض - كلية اللغة العربية بمراكش، (٢٠١٦م).

صولة، عبد الله. في نظرية الحجاج: دراسة وتطبيقات. الطبعة الأولى. تونس: مسكلياني للنشر والتوزيع، ٢٠١١م.

عبد الرحمن، طه. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. الطبعة الأولى. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨م.

العتيبي، ذيب مقعد. الخطاب الحجاجي في كتابات محمد عبد الله دراز. رسالة دكتوراه، السعودية، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، جامعة القصيم، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

العزاوي، أبو بكر. الخطاب والحجاج. الطبعة الأولى. المغرب: الأحمدي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م.

عليات، يوسف. "بلاغة الحجاج في النص الشعري دالية الراعي النميري أنموذجاً"، مجلة جامعة دمشق، مجلد ٢٩، العدد (١، ٢)، (٢٠١٣م).

فضل، صلاح. بلاغة الخطاب وعلم النص. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٦٤، أغسطس، ١٩٩٢.

القرطاجني، حازم. منهاج البلغاء وسراج الأدباء. تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة. الطبعة الثانية. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١م.

كرم الدين، عبد الرحمن أحمد. "لامية العرب بين التواصل والقطيعة مقارنة حجاجية". مجلة العلوم العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. العدد (٢٨)، (رجب، ١٤٣٤هـ).

الكندي، امرؤ القيس. ديوان امرؤ القيس. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الطبعة الخامسة. مصر: دار المعارف، د.ت.

مدقن، هاجر. الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه. الطبعة الأولى. الجزائر: منشورات الاختلاف، ٢٠١٣م.

مكلي، شامة. الحجاج في شعر النقائض دراسة تداولية. رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة مولودي معمري، تيزي وزو، ٢٠٠٩م.

مكلي، شامة. الحجاج في شعر النقائض دراسة لنصين لجرير والفرزدق. الطبعة الأولى. الجزائر: دار ميم للنشر، ٢٠١٠م.

